التراث الأرثوذكسي

ISSN 1814-7038

السنة التاسعة عشرة، العدد الثاني، تشرين الثاني ٢٠٢٢

مختارات آبائية/ حياة روحية

مختارات من الشيخ يوسف الفاتوبيذي

حياة روحية

المتروبوليت أثناسيوس مطران ليماسول، لا يكفي أن نقول: إنّي أصلي من أجلك

الميتروبوليت فيلاريت فوزنسنسكي، منشّط لكاهن أرثوذكسي

الميتروبوليت فيلاريت فوسنسنسكي، عن الخطيئة، الفصل الثاني من اللاهوت الأخلاقي

الخورية سميرة عوض ملكي، الثور والحمار في أيقونة الميلاد

مسكونيات

الأب أنطوان ملكي، فوضى المسكونية والأخ الصغير

أسرة التراث الأرثوذكسي، مجدداً، توحيد تاريخ الفصح

مختارات من الشيخ يوسف الفاتوبيذي

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

ماذا نعني بكلمة "التألّه"؟

عندما نقول "التألّه"، فإننا نعني ارتفاع الشخص إلى ما يتخطى الحالة الطبيعية وإلى التشابه مع الله، إلى أقصى حد ممكن. وهذا ممكن بلوغه بسبب تجسد الله الكلمة والتقديس بنعمة الروح القدس.

التألّه هو مركز وأساس الخلاص المسيحي وهو غايتنا. إنه محوَر النسك الأرثوذكسي في الماضي، وما زال كذلك وسيستمر في المستقبل. لقد رعاه آباؤنا الذين نقلوه بعد ذلك، كعربون للنية الحسنة، إلى الكنائس البنت لدى شعوب السلاف.

لا يمكن وصف التألّه بالمصطلحات البشرية. كشف الرب عن صورة شاحبة له عند تجليه على جبل ثابور. كما أن كلام الرب بأن الأبرار سوف يشرقون كالشمس في مملكة أبيه (متى ١٤:٤٣) هو أيضاً إشارة إلى التألّه. النبي موسى حمل بعض آثار التألّه على وجهه عندما نزل من قمة سيناء. نتيجة لذلك، لم يتمكن الإسرائيليون من النظر إليه حتى غطى وجهه.

حمل العديد من آبائنا القديسين نعمة التألّه، كما نرى من سيرهم، على سبيل المثال أبّا بامفو، وأبّا سيسوي، والقديس نيفن، والأسقف قسطنطين (القرن الرابع الميلادي)، والقديس سمعان اللاهوتي الحديث، القديس سيرافيم ساروف وجميع الذين تسلّقوا بنعمة المسيح سلم القداسة.

هذا البهاء الإلهي الذي أشرق من جسد القديسين المؤلهين كان الحالة الإلهية التي تغلغلت فيهم والتي تنير وتقدس الكائن النفسي الجسدي الكامل للإنسان. جميع أعضاء نفس وجسد هؤلاء الأشخاص مقدسة وتشارك في عدم فساد القداسة ونفحتها. في نفس الوقت وجوههم تتألّق كالشمس، مع أن هذا اللمعان لا يدركه حسياً مَن حولهم، إلا إذا سمحت النعمة الإلهية بإظهاره لبنيان المؤمنين. هذه النعمة هي التي تُقدس عظامهم وثيابهم وأي شيء آخر استخدموه، كما نقرأ في سيرهم. وهكذا نرى أنه حتى "مناديلهم ومآزرهم" (أعمال ١٩:١٢) عملت معجزات وأنجزَت علاجات.

باختصار إذن، التألّه هو تجلي الإنسان بالنعمة الإلهية إلى حالته الأصلية "على صورة الله ومثاله". صار التألّه ممكناً بتجسد الله الكلمة، إنه تبني الله للإنسان بالنعمة.

التألّه هو الاشتراك في المجد الإلهي والنعيم الإلهي بالقَدر الممكن للطبيعة البشرية. إنه أيضاً الحالة التي وصفها القديس بولس حيث " يُبْتَلَعَ الْمَائِتُ مِنَ الْحَيَاةِ"، حيث يُقام المؤمنون على أنهم "أشخاص جدد" ، "مخلوقين على شبه الله"، " مُشَبَّهين بِابْنِ اللهِ"..

التألّه يعني أيضاً الصفاء والكمال والمعرفة الروحية والمحبة، بالإضافة إلى التطهّر من الأهواء والمناعة الكاملة على أي شرير.

أنت تشير إلى ألَمِك

تحت اسم الصلاة، عرّف الآباء مفهوم الاعتزال وخاصة مفهوم المحادثة "الشخصية" مع الله. هذا هو المكان الذي يلقي فيه الناس بأنفسهم على رحمة الله وصلاحه، وبالاعتراف الراسخ والابتهال والتضرع والشكر يكشفون ألَمَهُم وشوقهم للمسيح إلهنا "القادر على خلاصنا".

اليقظة

إن أنجع الوسائل لإنارة العقل وأفضل مولِّد للصلاة هو اليقظة. الأثر المخدِّر للنعاس يخفّض على الفور صفاء الذهن. إنه يقلل من قدرة الطبيعة العقلانية الفكرية على المقارنة والتمييز والاختيار وتطبيق ما تتطلبه ممارسة النسك المشروعة. إن السهر دائمًا يسبق أعمال الآباء النسكية، وهو محبوب منهم كآليّة في مصنع. إن جهود الآباء الكبيرة لليقظة معروفة جداً. لقد شددوا على فوائد لهذه الفضيلة العديدة والمتنوعة، لأنها تساهم بشكل ممتاز في عمل النوس، الذي عليه يعتمد كل شيء.

واجب ضروري

يحدد الآباء السكون كالخطوة الأولى نحو التوبة. إنه العيش المتحرر من الاهتمامات. إن الانسحاب من الأشياء التي تجعلنا نسقط ونُهزَم، ولا سيما أصحاب الشخصية الضعيفة، على يد الذي " كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ" (٢ بطرس ٥:٨) . بالسكون، يُرفَع المنخرطون في الجهاد عن الاهتمامات العبثية العقيمة، وبالتالي، إذا رغبوا، يُستطيعون تحويل أفكارهم ومجهوداتهم إلى الله. إذ يستنيرون بالنعمة الإلهية، يكتشفون ذاتهم الحقيقية، وهذا واجب ضروري.

الإنكار

لا يمكننا أن ننكر الله، إذ لإنكار شيء علينا أن نكون أقوياء بما يكفي لإلغائه. في قلة إيماننا، يمكننا أن نفتخر بأن الله غير موجود حقاً، وأننا دمّرناه. ولكن حتى لو أنكرناه، كما يقول القديس بولس، فهو يظلّ أميناً معنا. لذا، إذا كانت الأمور على هذا النحو، فأين يكون الإنكار؟ إن الإنكار هو كسر الوصية.

Source: Γέροντος Ιωσήφ Βατοπαιδινού, Συζητήσεις στον Άθωνα, Ψυχοφελή Βατοπαιδινά, Ιερά Μεγίστη Μονή Βατοπαιδίου, Έκδοσις Α’,

لا يكفي أن نقول: إنّي أصلي من أجلك

المتروبوليت أثناسيوس مطران ليماسول

نقلته إلى العربية اسرة التراث الأرثوذكسي

حديث حول الحزن العالمي والحزن لأجل الله، والتعزية البشرية*

تحدثنا في المرة السابقة عن تجارب بولس الرسول وقلقه بشأن رعيته في كورنثوس، والتي كانت تعاني من مشاكل متنوعة. لذلك فقد أنَّبهم وأرشدهم كأب، مُعلِّماً إياهم محبة المسيح، وكيف يكونون مع المسيح، وكيف يجعلون قلوبهم منزلاً للروح القدس. ويتابع مُبيِّناً لنا أن الرُّسل القديسين أنفسَهم قد تكبدوا مشقّاتٍ بشرية متنوعة:

" لأَنَّنَا لَمَّا أَتَيْنَا إِلَى مَكِدُونِيَّةَ لَمْ يَكُنْ لِجَسَدِنَا شَيْءٌ مِنَ الرَّاحَةِ بَلْ كُنَّا مُكْتَئِبِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ: مِنْ خَارِجٍ خُصُومَاتٌ، مِنْ دَاخِلٍ مَخَاوِفُ. لكِنَّ اللهَ الَّذِي يُعَزِّي الْمُتَّضِعِينَ عَزَّانَا بِمَجِيءِ تِيطُسَ. وَلَيْسَ بِمَجِيئِهِ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا بِالتَّعْزِيَةِ الَّتِي تَعَزَّى بِهَا بِسَبَبِكُمْ، وَهُوَ يُخْبِرُنَا بِشَوْقِكُمْ وَنَوْحِكُمْ وَغَيْرَتِكُمْ لأَجْلِي، حَتَّى إِنِّي فَرِحْتُ أَكْثَرَ." (٢ كورنثوس ٧:٥-٧).

التعزية البشرية مهمة؛ إنها ضرورية. نحتاج نحن البشر تعزيةً من الناس. على غرارِ المسيح حين كان على الصليب وأراد أن يشرب؛ لم يوجد شخصٌ واحدٌ يمكن أن يقدم له تعزية بسيطة. علينا أن نتذكّر ذلك لهذا السبب. قد تأتي لحظة في حياتنا نحتاج فيها نحن أيضاً إلى بعض التعزية البشرية، أو سيحتاج شخصٌ آخر تعزيَتنا. علينا أن ندرك أنه لا يكفي أن نقول: "إني أصلي من أجلك"، بل علينا أن نفتّش لنرى كيف يمكننا تعزية هذا الشخص بصورةٍ عملية. يقول بولس الرسول في إحدى رسائله: إذا جاءك أحدٌ ما وقال إنه يتضور جوعاً، أحقاً ستكتفي بالقول له: "حسناً، اِذهب. سأصلي أن يطعمك الله" ؟ الصلاة حسنة، بالطبع، ولكنَّ الإنسان لن يكون راضياً بصلاة واحدة، لذلك علينا تعزية الإنسان بشكلٍ عملي. يجب أن نكون مُعزّين لإخوتنا، وعندها سيعزينا الله نحن أيضاً حين نكون في حاجة. وحتى عندما لا توجد أية تعزية من الناس -مهما بدا ذلك قاسياً، ولكن مواقفَ كهذه قد تحدُث- فإن الله يعزينا حينها بقوته وحضوره.

ذهب أحد الكهنة إلى كاهن آخر لطلب المساعدة، فقال له: "اسمع أيها الأب، إني لا أستطيع مساعدتك، ولكني سأصلي قانون تضرّع ليساعدك الله. إنه أعظم مني وأكثر قدرةً مني على تعزيتك". تلقّى الكاهن الذي كان بحاجة مساعدة هذه الكلمات ومشى إلى بيته بصمتٍ. مضت سنتان، ووجدَ الكاهن الذي أقام خدمة التضرّع نفسَه في حاجة. ذهب إلى ذاك الكاهن الآخر وطلب مساعدته، فقال له: "الآن سأصلي قانون تضرع من أجلك". قانون التضرع هو أمر حسن بالطبع، ولكن التعزية يجب أن تكون ملموسة. إذا كان إنسانٌ بحاجة مساعدة، فيجب أن تكون هذه المساعدة محسوسة. لا يكفي أن نصلي وحسب، وهو أمرٌ نراه نحن والله فقط فيما لا

يراه الآخرون. بالطبع، غالبًا ما كان القديسون يفعلون ذلك [أي يصلون]، ولكنهم فعلوا ذلك لأنهم لم يكونوا قادرين على القيام بأي أمرٍ آخر. أما نحن الذين لدينا القدرة لمساعدة الآخرين، فعلينا القيام بذلك عبر الإظهار العملي للمساعدة. لذا، فالله عزى بولس الرسول عبر حضور تيطس.

أذكر أننا كنا ذات مرة في كاتوناكيا نتحدث مع القديس أفرام الكاتوناكي، وقال: "إني متعب. أرغب بالذهاب إلى إسقيط المونوكسيليت لتغيير المزاج قليلاً، لتغيير المنظر – جلُّ ما أراه هنا هو الصخور". ترك ذلك انطباعاً عميقاً لدي حينها. قديسٌ عظيمٌ كهذا، وهدوئي، ونموذج للصلاة الذهنية، يرغب بالذهاب لرؤية شيء آخر. حتى هؤلاء الناس كانت لديهم رغبات بشرية عادية.

كان لي صديق ناسك، ذهب للعيش في صحراء كابسالا، حيث أقام في عزلة تامة. في أحد فصول الشتاء، حين أثلجت كثيراً، بات من الصعب جداً التنقل، ووجد جميع النساك أنفسهم معزولين تماماً عن الآخرين. وقال هذا الناسك: "لو كان لدي على الأقل قطة صغيرة هنا، لكانت تعزية لي". بعد قليل، سمع مِواءً خارج الباب. هكذا عزّاه الرب. كما نرى، إن الرغبات البشرية العادية ليست غريبةً حتى عن القديسين والشخصيات الكنسية العظيمة. هم أيضاً بحاجة للقليل من التعزية البشرية، حتى إذا ما أتاهم آخرون طلباً للمساعدة، أمكنهم فهمُهم ومساعدتهم.

" وَلَيْسَ بِمَجِيئِهِ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا بِالتَّعْزِيَةِ الَّتِي تَعَزَّى بِهَا بِسَبَبِكُمْ، وَهُوَ يُخْبِرُنَا بِشَوْقِكُمْ وَنَوْحِكُمْ وَغَيْرَتِكُمْ لأَجْلِي، حَتَّى إِنِّي فَرِحْتُ أَكْثَرَ." (٢ كورنثوس ٧:٧).

يقول بولس الرسول بأنهم تعزوا لا لمجرد أن تيطس قد حضر، بل أيضاً لأنه جلب لهم أخباراً سارة. قال بأن مسيحيي كورنثوس كانوا يُبلون حسناً الآن وبأنهم كانوا قلقين جداً على الرسول. ناحوا وسألوا الله أن يساعده. أخبرهم بولس الرسول بأنه قد سُرَّ لأجل الغيرة التي أظهروها في الصلاة من أجله. بالطبع، لم يكن القديس بولس الرسول بحاجةٍ لهذه الغيرة من الكورنثيين، ولكن المسيحيين أنفسهم كانوا بحاجة إلى ذلك لحفظ الرابط مع أبيهم الروحي. يبتهج آباؤنا الروحيون حين يرون أننا نحبهم، ليس لأنهم يحتاجون أن نحبهم، بل لأنهم يرون بأننا ننال بعض الفائدة الروحية من ذلك.

" لأَنِّي وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَحْزَنْتُكُمْ بِالرِّسَالَةِ لَسْتُ أَنْدَمُ، مَعَ أَنِّي نَدِمْتُ. فَإِنِّي أَرَى أَنَّ تِلْكَ الرِّسَالَةَ أَحْزَنَتْكُمْ وَلَوْ إِلَى سَاعَةٍ." (٢ كورنثوس ٨:٧).

كتب بولس الرسول رسالة إلى الكورنثيين وبَّخهم فيها، ثم تضايق لأنه وبَّخهم. من المُحتمَل أن هذه الرسالة لم تُحفَظ، أو ربما قصد بكلامه رسالة كورنثوس الأولى. يقول الرسول إنه ليس نادماً على إحزانهم، لأنه كان يعاملهم كأب. يمكن للأب أو المعلم أن يُحزنَ أولاده بتقييدهم لكيما يُصبحوا تلامذة جيدين أو أبناءً جيدين أو أشخاصاً جيدين في المجتمع. أياً يكن الأمر، فإن أولئك الذين تسببوا بهذا الحزن متضايقون أيضاً.

يقول الرسول بأن رسالته إلى الكورنثيين أحزنتهم إلى حينٍ فقط، وليس إلى الأبد، مثلما يمضي كل شيء مؤقت. يمكن أن نحزنَ لبعض الوقت، ولكنْ بعد ذلك نبتهج إلى الأبد. أو يمكننا أن نبتهج لبعض الوقت في خطيئة مؤقتة وعابرة، ومن ثمَّ نتحسر إلى الأبد، إذْ اِنفصلنا عن الله.

"اَلآنَ أَنَا أَفْرَحُ، لاَ لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ، بَلْ لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ لِلتَّوْبَةِ." (٢كورنثوس ٩:٧)

هذا هو الحزن الذي يقود إلى الله. في هذا يكمن الفرق بين حزن هذا العالم والحزن الذي يقرب الإنسان من الله ويقوده إلى الحياة الأبدية. الحزن العالمي يقتلنا. يولَد هذا الحزن من أنانيتنا، من التساؤل الدائم "لماذا؟"، أما الإنسان المتواضع فيقول: "حسناً، لقد ارتكبت الكثير من الأخطاء، أنا ضعيف، خاطئ، وعديم القيمة، لا أتوقع أي صلاحٍ من نفسي وفقط أسأل الله المغفرة والتواضع والتوبة". حتى ولو كان هذا الإنسان حزيناً، فسينال تعزية داخلية، بينما يقودنا الحزن العالمي إلى اليأس والقنوط وإلى حالة عصبية. لا فرح في حزن كهذا. سألنا القديس باييسيوس ذات مرةٍ عن الفرق فقال لنا: "يتضمَّن الحزن العالمي ظلمةً، أما الحزن الإلهي ففيه نور داخلي". قد يكون حزناً شديداً، ولكنه سيمتلك نوراً وتعزية فيه، وسيجلب للإنسان سلاماً.

" لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ لِكَيْ لاَ تَتَخَسَّرُوا مِنَّا فِي شَيْءٍ. لأَنَّ الْحُزْنَ الَّذِي بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يُنْشِئُ تَوْبَةً لِخَلاَصٍ بِلاَ نَدَامَةٍ، وَأَمَّا حُزْنُ الْعَالَمِ فَيُنْشِئُ مَوْتًا." (٢كورنثوس ٩:٧-١٠).

تذكروا هذه الكلمات جيداً. الحزن من أجل الله يمنح الإنسان الفرح والتوبة والخلاص والعتق والسلام والطمأنينة. ينوح الإنسان ويكتئب ويحزن ويعاني بسبب موقعه وبسبب خطاياه، ولكنَّ لديه سلاماً داخلياً. هذا ما يسميه الآباء بالحزن البهج. البهجة والحزن معاً، فيما حزن العالم ينشئ موتاً. يقتل الحزن العالمي نفس الإنسان، لذلك يمرض الإنسان ويُنهَك جهازه العصبي، ويفقد صوابه ويبدأ بالقيام بأمورٍ سيئة. لذلك يجب أن نحذر الحزن العالمي لأنه يقود إلى طريق مسدود ولا يعطي أية تعزية على الإطلاق. كثير من الناس قد تسببوا لأنفسهم بأذى كبير وعانوا كثيراً بسبب هذا الحزن العالمي. لا أعني الناس الذين يعانون من مشاكل طبية، بل أولئك الذين يعانون بسبب أنانيتهم، ولا يقبلون حقيقة كونهم مجرد بشرٍ ويمكن أن يخطئوا. إنه لأمر رائع أن تكون قادراً على القول: "أنا مجرد إنسانٍ وأرتكب الأخطاء، ولكني أتوب عنها وأسأل الله أن يغفر لي".

كيف يمكن للإنسان تجنب هذا الحزن العالمي؟ عليه أن يحيا حياة روحية، أن يتعلم الصلاة، أن يقرأ سير القديسين، أن يعترف بصدق، ويشترك في أسرار الكنيسة، لأن الأسرار تشفي نفس الإنسان وتنقذه من الحزن العالمي وتعطي الحزن لأجل الله، الأمر الذي يقود إلى الخلاص. بهذه الطريقة يجد الإنسان التعزية. حين نعترف، نطهر نفوسنا، وتستقر نعمة الله في قلبنا، وتتعزى نفسنا كلها ووجودنا بأكمله.

يشكل هذا الحزن العالمي مشكلة كبيرة للعالم بأكمله اليوم، لأنه ليس لدى الناس قوة كافية لاحتماله، لذلك يقعون في القنوط ويعانون بشدة. مع ذلك، أظن أن بإمكان الإنسان تغييرَ هذا الحزن العالمي بشكل تدريجي إلى حزنٍ لأجل الله، وإيجادَ السلام في نفسه. أكرر مجدداً أن ذلك لا ينطبق على الحالات الطبية، حين يُشخَّص أحدهم بالاكتئاب، لأن ذلك مختلف عن هذا الحزن الذي يتحدث عنه بولس الرسول. يستدعي الاكتئاب المرضي منهجية طبية لعلاجه. أما الحزن العالمي الذي يشفيه الروح القدس فهو ضمن الحيز الروحي.

يتابع بولس الرسول قائلاً:

" فَإِنَّهُ هُوَذَا حُزْنُكُمْ هذَا عَيْنُهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ، كَمْ أَنْشَأَ فِيكُمْ: مِنَ الاجْتِهَادِ، بَلْ مِنَ الاحْتِجَاجِ، بَلْ مِنَ الْغَيْظِ، بَلْ مِنَ الْخَوْفِ، بَلْ مِنَ الشَّوْقِ، بَلْ مِنَ الْغَيْرَةِ، بَلْ مِنَ الانْتِقَامِ. فِي كُلِّ شَيْءٍ أَظْهَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنَّكُمْ أَبْرِيَاءُ فِي هذَا الأَمْرِ." (٢كورنثوس ١١:٧).

هنا يقول الرسول بأن الحزن لأجل الله قد جلب للكورنثيين نتائج جيدة؛ فالإنسان الذي يحزن لأجل الله، و لديه غيرة لله، لا يطغى عليه القنوط، ولا يقول: "لن أفعل شيئاً. لا أتوقع أي شيء جيد ولا أريد رؤية أحدا!"، بل يقول: "سأفعل شيئاً لأجل الله. سأصلي أكثر. سأعمل أكثر. سأبدي حماسة أكبر في الصلاة والتوبة". هذا يتطلب اندفاعاً، وإذا تصرف الإنسان بهذا الشكل فسيحوز نعمة الله في قلبه. فانظروا إذاً أية حماسة منحكم هذا الحزن الذي يحصل بمشيئة الله، وأية حاجة إلى الأعذار تسبب فيكم، وأي سخط، وأي خوفٍ من العواقب، وأية رغبة في رؤيتي، أية غيرة وأية رغبة في معاقبة الشر. هكذا يخاطب بولس الرسول الكورنثيين. ثم يضيف: "فِي كُلِّ شَيْءٍ أَظْهَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنَّكُمْ أَبْرِيَاءُ فِي هذَا الأَمْرِ." (٢كورنثوس ١١:٧)ـ تتعلق هذه الحالة بمحنة مؤمني كورنثوس، والتي كانت مرتبطة بخطايا الجسد، وهي خطيرة جدًا، خاصة في تلك الأوقات. ولكن حين حزن الكورنثيون، عندها حازوا غيرة أكبر للصلاح. أرادوا رؤية الرسول، والسعي أكثر والتغيُّر، وقد ساعدتهم غيرتهم.

" إِذًا وَإِنْ كُنْتُ قَدْ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ، فَلَيْسَ لأَجْلِ الْمُذْنِبِ وَلاَ لأَجْلِ الْمُذْنَبِ إِلَيْهِ، بَلْ لِكَيْ يَظْهَرَ لَكُمْ أَمَامَ اللهِ اجْتِهَادُنَا لأَجْلِكُمْ." (٢كورنثوس ١٢:٧).

يقول بولس الرسول إنه كتب لهم هذه الرسالة وأحزنهم ليس لأنه أراد إحزانهم، بل لأنه أراد أن يريهم المشكلة التي وقعوا فيها، وذلك ليتحوَّلوا إلى الحالة الروحية الصحيحة التي هم فيها الآن، ولتكون لهم مثل هذه الغيرة للصلاح. إذا كانت لدينا حالة ذهنية معينة، ونختبر مشاعر متنوعة، ونرى أن هذه المشاعر تقودنا إلى التوبة والنور والتعزية والتواضع، فهذا يعني بأنها حالة من الله. كما يقول المسيح: "من ثمارهم تعرفونهم" متى ١٦:٧. إذا كانت الشجرة صالحة فثمرها يكون صالحاً، وإذا كانت الشجرة فاسدة فثمرها يكون فاسداً. يمكن تقييم الحالة الداخلية للإنسان من ثماره. لذا فقد كان للكورنثيين ثمار حماستهم في حياتهم الروحية. تبين أن الرسول، من خلال ما فعله، أنهضهم إلى يقظة روحية.

من المهم أن يعرف الأهل والمرشدون الروحيون هذا: حين نقوم بشيء ما بخصوص أولادنا أو أبنائنا الروحيين أو تلاميذنا، يجب دوماً أن نأخذ بعين الاعتبار فيما إذا كان ذلك سيأتي بنتائج جيدة أو سيئة. هل سيساعد ذلك أولادنا ليصبحوا أفضل، أكثر وعياً، أكثر تواضعاً، وأكثر اجتهاداً؟ أم أنه سيؤدي إلى عكس ذلك؟ لا يمكننا قول الكلام الصحيح وحسب، ولكنْ علينا أيضاً التفكير فيما سيقود إليه هذا الكلام، لأن التمييز، كما سبق وقلنا، هو أعظم الفضائل. يستلزم التمييزُ أنّه حتى عندما نفعل الخير فعلينا فعله بطريقة صحيحة. فلنقُل أننا نريد أن نبدي ملاحظةً لأحدٍ ما لفائدته. إن لم نقلها بلطف، فسينقلب كل شيء إلى شر. لذلك، علينا دائماً وزن النتائج وأن نفهم أن للآخر محدوديته.

" مِنْ أَجْلِ هذَا قَدْ تَعَزَّيْنَا بِتَعْزِيَتِكُمْ. وَلكِنْ فَرِحْنَا أَكْثَرَ جِدًّا بِسَبَبِ فَرَحِ تِيطُسَ، لأَنَّ رُوحَهُ قَدِ اسْتَرَاحَتْ بِكُمْ جَمِيعًا." (٢كورنثوس ٧:١٣).

كما ترون، لا ينكر بولس الرسول أنه احتاج تعزية بشرية. لذا فيجب أن تكون التعزية البشرية هامة أيضاً بالنسبة لنا. إذا حصلنا عليها، فهذا جيد، وإن لم نحصل عليها، فذاك أفضل، إذ حينها سيعزينا الرب. كما قال الشيخ باييسيوس، حين لا تكون لدينا تعزية بشرية، فإنها حالة صعبة بالتأكيد، ولكنّنا نحصل حينها على تعزية الله. عندما لا يكون هناك حضور بشري، يكون هناك حضور الله. لذلك فقد فضل القديسون عدم الحصول على تعزية بشرية، بل أن ينالوا حضور الله في حياتهم. هذا مع ذلك صعبٌ ويتطلب الكثير من الصبر والكدّ.

كان هناك شيخ روماني يعيش في جبل آثوس. جاء ذات يوم لزيارتنا في دير كوتلوموسيو حيث عشت أنا لعامين كبوابٍ تحت الطاعة. عاش الشيخ في الصحراء وكان دوماً يصل جائعاً. كان قصير القامة ومنحني الظهر ويحمل زوادةً على ظهره، وكان دائم المسير. جاء ذات يومٍ لرؤيتنا في الدير، فسألته: "أيها الشيخ سيرجي، كيف حالك؟"، قال: "أريد أن آكل". لأمازحه قليلاً قلت: "ليس لدينا أي طعام". فقال لي: "لا تقلق. إذا أكلت، فهذا جيد، وإذا لم آكل، فذاك أفضل". أراد بهذه الطريقة أن يقول لنا: "إذا كان لديكم طعام ويمكنكم إعطائي إياه لآكل، فستفعلون حسناً، ستقدمون لي تعزية بشرية، وإذا لم يكن لديكم، ولم تعطوني أي شيء لآكل، وبقيت جائعاً فذلك أفضل بكثير، لأن الرب الإله نفسه سيعزيني حينها". مثل هؤلاء الأشخاصِ كان لديهم رجاء بالله.

كنت في الثامنة عشرة من عمري حين ذهبت إلى تسالونيكي للدراسة. المناخ هناك مختلف تماماً عن قبرص. إنه بارد ورطب. لطالما أحببت الأكل، وفي ذلك المناخ تحديداً أردت أن آكل، وكنت جائعاً دوماً. التقيت هناك أباً روحياً جيداً جداً، ولكنه كان ناسكاً. أقمنا جميعاً في سكنِ القديسة ثيوذورا معاً. سألته: "أيها الأب، ما الذي سنتناوله على العشاء اليوم؟"، فقال "تناول بعض اللبن". كيف ستكفيني حصة لبن واحدة؟ كنت بحاجة إلى طَشت كامل مليءٍ بالطعام. قلت له: "أيها الأب، لن أصمد طويلاً بحصة لبن واحدة"، فقال "حصة لبن واحدة". بعد أسبوعين انفصلت عن هذا الأب الروحي، لأنه لم يتفهَّم أني كنت جائعاً طيلة الوقت. بعدها وجدت أباً روحياً آخر، كان أيضاً طبيباً بالتدريب، وكولونيلاً، وبالعمومِ شيخاً مختبِراً جداً (ذا خبرة كبيرة). وكلما رآني كان يسأل: "هل أكلت اليوم يا عزيزي؟" وكنت أجيب: "كلا أيها الشيخ، لم آكل شيئاً". فيقول لي " اذهب وكلْ شيئاً"، ويعطيني بعض المال للكافيتيريا بقرب الكنيسة. أو أحياناً، حين كنا نذهب وننتظر بالدور للاعتراف عنده، كان يخرج ويعطينا بعض المال ويرسل أحداً ما لجلب الطعام لكي نتنشط فيما كنا ننتظر. لقد تفهّمنا. ومع أنه كان ناسكاً، فقد فهم بأننا كنا في الثامنة عشرة من العمر وأردنا أن نأكل. وعلى العكس، فإن ذلك الشيخ الناسك الآخر الذي لم يتفهمنا مضى وحيداً، لأننا جميعاً تركناه. كان يتذمر أحياناً لأننا لم نكن نأتي إليه للاعتراف. ولكن كيف كُنا لنذهب إليه إذا لم يكن يفهمنا؟ حين كنا نعيش مع القديس باييسيوس في كابسالا لمدة من الزمن، هو أيضاً لم يأكل شيئاً، ولكن بما أنه كان يعرف أني أحب الأكل، كان يقول لي: "اذهب إلى دير

ستافرونيكيتا ثم عد إلى هنا". كان دير ستافرونيكيتا قريباً من قلايته، مسير نصف ساعةٍ تقريباً. بما أنه هو نفسه لم يملك أي طعامٍ لنا، كان يرسلنا إلى الدير المجاور.

لذلك من الضروري أن نُظهر للآخر أننا نفهمه. إذا أردت تعزية شخصٍ ما، ولكن بدل إظهار تفهُّمك لمأزقه بدأت بمحاولة تعليمه، فمن المستبعد أن يتعزى بواسطتك. لقد رأينا كيف تصرف شيوخنا القديسون. حين واجهت أخويتنا بعض الصعوبات، ذهبنا لرؤية الشيخ إيميليانوس (رئيس دير سيمونوبترا حينها)، واستمع إلينا بانتباه شديد، مع أن مشكلتنا لم تكن شديدة الخطورة، كما يبدو لي الآن. ما أثر فينا حينها هو رد فعل الشيخ. لم يقل لشيخنا "أيها الشيخ، صلِّ وسيساعدك الله. سيكون كل شيء على ما يرام"، بل بالأحرى قال: "أيها الشيخ، من المؤكد أنكم في وضع صعب للغاية" ورأينا أنه فهمنا حقاً. ثم أخبرنا كيف نحل المشكلة.

ذهبت في أحد الأيام إلى المشفى (هنا في ليماسول)، إلى غرفة الطوارئ، ورأيت هناك رجلاً عجوزاً يئن: "هذا مؤلم. هذا مؤلم". كان هناك طبيب وقال لي: "لا تعره انتباهاً، إنه لا يشكو من شيء". فذهبت إليه وقلت له: "ما الذي يؤلم؟" فقال "أشعر جداً بالسوء". قلت له: "لا تقلق. ذلك سيمضي". فقال "أتقول إنه سيمضي؟ حين تمرض أنت نفسك سترى حينها". أدركت في تلك اللحظة أنه حتى ولو كان ذلك الرجل يختلق معاناته، فإنه كان يعاني على كل حال، ولقد أجابني بشكل صحيح: حين تمرض أنت نفسك لن تتكلم بهذه الطريقة بعد الآن. لذلك يستخدم علماء النفس أيضاً مصطلحاً شائعاً جداً اليوم: التعاطف، وهو ليس سوى ما يقوله آباؤنا القديسون: أحب قريبك كنفسك، أي ضع نفسك مكان الآخر، حيث يصبح ألمه ألمك.

البارحة، أتى إلى المطرانية صبيٌ وهو يبكي لأن أحدهم قد سرق دراجته. هذا لا شيء بالنسبة لنا. بالنسبة للصبي، كانت تلك كارثة عظيمة، لأنه خشي الذهاب إلى المنزل والاعتراف لأبيه بأن أحداً ما قد سرق دراجته. بإعطائه دراجة جديدة، ساعدناه وعزيناه. لكن لو قلنا له: "لماذا تبكي بشأن أمرٍ سخيف جداً؟ إنه مجرد غرض. لماذا تفكر بالأشياء المادية؟"، لكان شعر بالإهانة وغادر. كان ليقول أننا لم نفهمه. ولكن القديسين فهموا الناس جيداً جداً ولم يستخفوا بمشاكلهم؛ لم يقولوا "لماذا تخبرني كل هذا الكلام الفارغ؟"، "لا تفكر بالأمر"، وهلم جر، كما نقول نحن عادةً للناس.

هذا ما أردت قوله لكم اليوم.

* حديث إلى مؤمني أبرشية ليماسول في ٢٨ أيلول ٢٠٢٢، حول ٢ كورنثوس ٧:٥-١٣

Source: It’s Not Enough Just To Say, “I’m Praying For You”: A Word On Worldly Sorrow, Sorrow for God’s Sake, and Human Consolation. Metropolitan Athanasios of Limassol. https://orthochristian.com/148918.html, https://orthochristian.com/148919.html.

منشّط لكاهن أرثوذكسي

الميتروبوليت فيلاريت فوزنسنسكي

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

١. بعد أن قبلتَ نعمة السيامة، ضعْ في اعتبارك ما هي الموهبة والرحمة التي وجدك الرب مستحقاً لها، وأية مسؤولية تتحملها الآن. الكاهن هو رسولٌ لرعيته. "أنا لست لنفسي، بل للآخرين" قال الكاهن الروسي العظيم الأب (الآن القديس) يوحنا كرونشتادت.

٢. يقول الكتاب: "شفَتا الكاهن تحفظان المعرفة، ومن فمه يطلبون الشريعة، لأنه رسول رب الجنود". اهتمَّ بهذه الكلمات أيها الكاهن الأرثوذكسي. يجب أن تكون مبشّراً بشريعة الله وحقّ إنجيله لرعيتك التي تعود إليك من أجل هذا الشيء بالذات.

٣. خَفْ من الإهمال في عمل الخدمة المقدس كما من النار، والأكثر من ذلك في خدمتك أمام مذبح سيد المجد الرهيب. يحذّر الكتاب المقدس بشدة: "ملعون من يتهاون في عمل الرب". كن قدوة حسنة في مخافة الله والتقوى لمن يشترك معك ويساعدك في خدمتك، فيبقَ بعيداً عن المذبح المقدس كل من يدخله بإثم.

٤. صلِّ باستمرار للرب من أجل المعونة والفهم في إدارة شؤون الرعية. عسى أن يمنحك الرب روح العفة، والتواضع واتضاع الفكر، والصبر، والمحبة... يجب أن يكون لدى المرء كل هذه الفضائل للعمل في الرعية. ثمِّنْ آراء الإخوة الأكبر سناً والأكثر خبرة، والمشورة الحكيمة للعلمانيين الأتقياء المخلصين للكنيسة. تمسّكْ بزمام قيادة سفينة رعيتك، ولكن في نفس الوقت، قبل حسم أي قضية واتخاذ قرار رعائي، اتّبعْ أولاً إرشادات الأشخاص الذين اكتسبوا ثقتك – مع أن كل شيء في الكنيسة يقرره القادة الروحيون - الرعاة، لكنه يُناقَش أولاً بحكمة مجمعية – بروح الجامعية، الوحدة الشاملة يجب أن تصبغ حياة الرعية وعملها.

٥. أكرر: **امسك** القيادة بيديك بحزم، وحاول أيضاً أن تجتذب أبناء الكنيسة الصالحين الأتقياء إلى العمل الحي في الرعية، وخلق عائلة روحية واحدة متناغمة مع مساعديك. لا تنسَ الأطفال. حاول بجدية أن تعلّمهم وترشدهم وتربيهم بروح الكنيسة، طالباً ذلك منهم ومن والديهم بشكل دائم. فليكُنْ مساعدك الحقيقي في هذا، الشريك الذي وهبك إياه الله في هذه الحياة - خوريتك. في حياة الرعايا، كثيراً ما يحدث سوء تفاهم وصراعات بسبب تورط زوجات الكهنة في الأمور الرعائية وعمل أزواجهن - وهذا يجب تجنبه. ولكن في الوقت نفسه ، هناك جوانب من حياة الرعية يمكن أن تكون فيها زوجة الكاهن أفضل مساعِدة له، في جزء كبير منها في عمل التربية المسيحية وتنشئة الأطفال.

٦. وإذ تعمل في الرعية، لا تكفّ عن العمل على ذاتك. يجب أن يتشابك العملان معاً. يوجه بولس الرسول تلميذه القديس تيموثاوس: "لاَ يَسْتَهِنْ أَحَدٌ بِحَدَاثَتِكَ، بَلْ كُنْ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلاَمِ، فِي التَّصَرُّفِ، فِي

الْمَحَبَّةِ، فِي الرُّوحِ، فِي الإِيمَانِ، فِي الطَّهَارَةِ.إ لى أَنْ أَجِيءَ اعْكُفْ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالْوَعْظِ وَالتَّعْلِيمِ.. لاَحِظْ نَفْسَكَ وَالتَّعْلِيمَ وَدَاوِمْ عَلَى ذلِكَ، لأَنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هذَا، تُخَلِّصُ نَفْسَكَ وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَكَ أَيْضًا".

ليكُن الرب معينَـك في كـل شـيء. إذ قبلتَ نعمـة السـيامة مـرتين – الشموسـية والكهنـوت - لا تنسَ أن تصـلّي باستمرار للرؤساء الذين وضعوا أيديهم عليك.

Metropolitan Philaret (Voznesensky). Refresher For A Russian Orthodox Pastor. Pravoslavie. 10/10/2015. https://orthochristian.com/86537.html

عن الخطيئة، الفصل الثاني من اللاهوت الأخلاقي

الميتروبوليت فيلاريت فوسنسنسكي

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

نحن، المسيحيين، نعرف من الكتاب المقدس ونؤمن أن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله. وهكذا، عند الخلق، أُعطي الإنسان طبيعة بلا خطيئة. ولكنْ حتى الإنسان الأول، آدم، لم يبقَ بلا خطيئة، بل فقد طهارته الأصلية في أول سقوط خاطئ في الفردوس. لقد أصاب سم هذه الآثام البشرية جمعاء التي أنتجت أسلافاً خطأة، مثلما ينضح نبع مسموم ماءً نتناً. يضيف الإنسان خطيئته الشخصية إلى قابلية الخطيئة الموروثة من أسلافنا. لا عجب في ما يقوله الكتاب المقدس عن كل واحد منا، "ما من إنسان يعيش يوماً ولا يخطأ". وحده الرب يسوع المسيح طاهر تماماً من أي خطيئة. حتى الأبرار، قديسو الله، هناك خطيئة في داخلهم مع أنهم جاهدوا، بمعونة الله، إلا أنهم مع ذلك، بتواضعهم، اعتبروا أنفسهم خطأة. كل البشر، بدون استثناء، مصابون بالخطيئة.

الخطيئة هي جذام روحي، مرض، قرحة أصابت الطبيعة البشرية كلها، روحاً وجسداً. لقد دمرت الخطيئة القدرات الأساسية الثلاث أو قوى الروح: العقل والأحاسيس (القلب) والإرادة. لقد أظلم العقل البشري وأصبح ميالًا إلى الخطأ (كان لدى الرومان قول مأثور، "الخطأ إنساني")، والإنسان يخطئ باستمرار في العلوم والفلسفة وفي حياته اليومية. بالخطيئة يتضرر كثيراً قلب الإنسان، مركز أحاسيس معاناته من الخير والشر والحزن والسعادة. نرى أن قلبنا الذي غُطّي بطين الخطيئة وعفنها، قد استنفد طاقاته من الشعور المسيحي الروحي الطاهر والنبيل. بالمقابل، أصبح ميالاً إلى اللذة الحسية والروابط الأرضية، ملوثاً أيضاً بالغرور، مُفتقراً بشكلٍ تامٍ ومثير للدَّهش إلى المحبة وتمني الخير لأخيه.

بالطبع، أكبر ضرر لحق بإرادتنا هو في قدرتنا على العمل وتحقيق نوايانا البشرية. تبدو إرادة الإنسان عاجزة بشكل خاص عندما يحتاج إلى تحقيق الصلاح المسيحي الحقيقي أكثر من غيره، حتى عندما يريد هذا الصلاح. قال الرسول بولس عن ضعف الإرادة المحزن هذا "لأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ، بَلِ الشَّرَّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ" (رومية٧:١٩). لذلك يقول المسيح المخلص عن الإنسان الخاطئ " أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ"(يوحنا٧:٣٤). ومع ذلك، غالباً ما يبدو للخاطئ نفسه أن خدمة الخطيئة هي الحرية، وأن الكفاح ضد أفخاخ الخطيئة هو عبودية...

كيف تتطور الخطيئة في نفس الإنسان؟ إن القديسين آباء النسك والتقوى المسيحيين هم أفضل من جميع أطباء النفس المتعلمين الذين يدّعون معرفة النفس البشرية الخاطئة. وهم يفرقون بين مستويات الخطيئة التالية: أول لحظة للخطيئة هي مباشرتها، أي عندما تبدأ التجربة بالتأطر في وعي الإنسان، كانطباع خاطئ، أو

فكر نجس وما إلى ذلك. إذا رفض الإنسان الخطيئة في هذه اللحظة الأولى بشكل حاسم وفوري، فلن يخطأ، بل سيهزمها، ويقتني لنفسه زائداً لا ناقصاً. من الأسهل التغلب على الخطيئة في البداية. إذا لم تُـرفض البدايـة، تتحول تدريجياً إلى سعي غير واضح ومن ثمّ إلى رغبة واعية وواضحة بالخطيئة. هنـا يبـدأ الشـخص بالفعـل بالانجذاب نحو نوع معين من الخطيئة. يمكنه في هـذه اللحظـة، دون صـراع صـعب بشـكل خـاص، أن يقـاوم الاستسلام لها وألا يخطأ، إذ يساعده صوت ضميره الواضح – كما معونة الله إذا طلبها.

لقد وقع الإنسان في الخطيئة. تبدو توبيخات الضمير صاخبةً وواضحة، مثيرةً ببساطةٍ اشـمئزازاً شـديداً تجـاه هذه الخطيئةِ في شخص لم يفسد بعد. مع اختفاء الثقة السابقة بالنفس، يصبح الشخص متواضعاً. انظروا إلى الرسول بطرس قبل وبعد إنكاره. ولكنْ حتى هنا، فإن الانتصـار على الخطيئـة ليس صـعباً جـداً، كمـا تـدل على ذلك أمثلة عديدة لبطرس الرسول نفسِه، وللملكِ والنبي القديسِ داودَ، وغيرهما من الخطأة التائبين.

من الصعوبة بمكان محاربة الخطيئة عنـدما تصـبح عـادة، لأنهـا تتكـرر كثـيراً. هـذا يعـني بشـكل عـام أنَّه، حينَ تُكتَسَب أيُّ عادةٍ، فإنَّ الأفعال المعتادة تُنفَّذُ بشكلٍ تلقـائي تقريبـاً بـدون أن يلاحظهـا الشـخص. إن الصـراع مـع الخطيئة التي أصبحت اعتيادية أمر صعب للغاية، إذ يصعبُ، ليس فقـط التغلب على الـذات، بـل أيضـاً مراقبـة اقتراب الخطيئة وملاحظتها.

المرحلة الأكثر خطورة في الخطيئـة هي الرذيلـة. في هـذه الحالـة، تتحكم الخطيئـة بالإنسـان حتّى أنهـا تقيـد إرادته كما بالسلاسل. يكاد الإنسان يكون عاجزاً عن محاربة نفسه في هذا ويصـبح عبـداً للخطيئـة، على الـرغم من إدراكه لأضرارها، وكرهه لها من كل قلبه في لحظـات الصـفاء. ينطبـق هـذا مثلاً على رذيلـة السُـكر وإدمـان المخدرات وما شابه ذلك. في هذه الحالة، وبدون رحمة ومعونـةٍ خاصة من الله، يكـون الإنسـان عـاجزاً بالفعـل عن التحكم بنفسه، ويحتـاج إلى صـلاة الآخـرين ودعمهم الـروحي. على المـرء أن يتـذكّر أنه، حـتى الخطيئـة الصغيرة، كالثرثرة ومحبة اللباس والترفيه الفـارغ ومـا إلى ذلك، قـد تصـبح رذيلـة إذا هيمَنت بالكامـل وملأت نفسه.

إن أعلى مراحل الخطيئة، حيث يُستعبَد الشخص بشكل كامل، هي الشغف بهذا النوع أو ذاك من الخطيئـة. في هذه الحالة لا يكره الإنسان خطيئته كما الرذيلة (هذا هـو الاختلاف بينهمـا)، بـل يُخضِـع للخطيئـة كـل تجاربـه وأفعاله وحالاته المزاجية. قارنوا بين بليوشـكين[١] في "النفـوس الميتة"، أو فيـودور كارامـازوف[٢] في "الإخـوة كارامازوف"، بعاشق المال يهوذا الإسـخريوطي. في هـذه الحالـة، يعـترف الشـخص بوضـوح وحرفيـاً بوجـود الشيطان في قلبه؛ كما يَرِد عن يهـوذا في الإنجيـل المقـدس. إذا وصـل الإنسـان إلى هـذه الحالـة، مـا من شـيء يمكن أن يساعد سوى صلاة الكنيسة التي تمنح النعمة والتأثير.

---

١ ستيبان بليوشكين هو شخصية خيالية في رواية "النفوس الميتة" لنيكولاي غوغول. هو مالك أرض يجمع بقلق شديد ويحفظ كل ما يجده، حتى أنـه لا يستغل ممتلكاتـه بسبب تعلقه بما يملك. نسبة إليـه، تُعرَف اليوم "متلازمـة بليوشـكين" وهي مشكلة الأشخاص المصابين بما يعرَف بالاكتناز القهري، أي الذين يجمعون أشياء مختلفة غير مفيدة ويتمسكون بها.

٢ فيودور كارامازوف هو شخصية خيالية من روايـة "الأخوة كارامـازوف" لفيودور دوستويفسكي. هـو شـخص متحـرر منغمس في نفسه ووقح، ولا يهتم بأي شكل من الأشكال بالمسؤوليات العادية للأبوة أو المسائل الأخلاقية الناشـئة عن مفـاهيم الالـتزام الأبـوي. يظهر أن دوستويفسكي يستعمل هذه الشخصية لتصوير واقع التفكك الاجتماعي.

هناك نوع آخر خاص رهيب ومهلك من الخطيئة. إنه خطيئة مميتة. حتى صلاة الكنيسة لا تساعد الإنسان في حالة هذه الخطيئة. إذْ يدعونا الرسول يوحنا الإلهي للصلاة من أجل أخينا الخاطئ، فإنه يشير بوضوح إلى عدم جدوى الصلاة من أجل خاطئ لا يريد أن تُغفَر خطيئته "إِنْ رَأَى أَحَدٌ أَخَاهُ يُخْطِئُ خَطِيَّةً لَيْسَتْ لِلْمَوْتِ، يَطْلُبُ، فَيُعْطِيهِ حَيَاةً لِلَّذِينَ يُخْطِئُونَ لَيْسَ لِلْمَوْتِ. تُوجَدُ خَطِيَّةٌ لِلْمَوْتِ. لَيْسَ لأَجْلِ هذِهِ أَقُولُ أَنْ يُطْلَبَ" (١يوحنا ١٦:٥).

يقول ربنا يسوع المسيح أن هذه الخطيئة هي التجديف على الروح القدس ولا تُغفَر للناس في هذا العالم ولا في المستقبَل. لقد قال هذه الكلمات الرهيبة ضد الفريسيين، الذين رأوا بوضوح أنه فعل كل شيء بحسب إرادة الله وبقوته، ومع ذلك فقد شوّهوا الحق بعناد وأصروا على الافتراء بأنه تصرف بقوة روح شرير نجس. لقد هلكوا في تجديفهم، وهذا المثال مفيد ومخيف لكل أولئك الذين يرتكبون تلك الخطيئة المميتة، ويعارضون بعناد ووعي الحقيقة التي لا شك فيها، ويجدفون على الروح القدس، روح الله القدوس. من الضروري أن نلاحظ أنه، حتى التجديف على ربنا يسوع المسيح نفسه، يمكن أن يُغفَر لشخص (حسب قول الربِّ نفسه)، لأنه قد يحدث بسبب الجهل التام أو العمى المؤقت.

حسب تعليم القديس أثناسيوس الكبير، لا يُغفَر التجديف على الروح القدس إلا بعد أن يتوقّف الإنسان عن ذلك ويتوب. لكن هذا لا يحدث عادة، لأن نوع هذه الخطيئة بالذات وطابعَها بالذات يجعل العودة إلى الحقيقة شبه مستحيلة. قد يرى المعمي مرة أخرى ويحبّ الحقيقة، وإذْ هو ملوث بالرذائل والأهواء، يمكنه أن يغتسل بالتوبة ويصبح معترفاً بالحق. ولكن مَن وماذا يمكن أن يغيّر المجدّف، الذي رغم أنه يرى ويعرف الحقيقة إلا أنه يرفضها بعناد ويكرهها؟ وهذه الحالة الفظيعة تشبه حالة الشيطان الذي يؤمن بالله ويرتجف، ويكرهه ويفتري عليه ويعارضه.

عندما تظهر تجربة الخطيئة أمام الإنسان، فإنها تأتي عادةً من ثلاثة مصادر: الجسد والعالم والشيطان.

من المؤكد أن جسد الإنسان، في كثير من الحالات، هو العشّ، مصدر الميول والنزعات والمشقات اللاأخلاقية. الخطيئة الجدّية هي ميلنا العام الحزين تجاه الخطيئة، الموروث من خطايا أسلافنا ومن سقطاتنا الشخصية الخاطئة، التي تتراكم وتقوّي بعضها البعض، مما يخلق مصدراً للهوى والميول الخاطئة والأفعال في أجسادنا.

في كثير من الأحيان، يكون العالم المحيط بنا، والذي، بحسب الرسول يوحنا الإلهي، "قَدْ وُضِعَ فِي الشِّرِّيرِ" (١ يوحنا ٥:١٩)، مصدر تجربة لنا. ونعلم أننا من الله، والعالم كله قد وضع في الشر. الصداقة مع العالم، بحسب كلمة رسول آخر، هي عداوة لله. " أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ للهِ؟ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ، فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا للهِ"(يعقوب٤:٤). إن البيئة المحيطة والناس يغروننا. هناك كثيرون ممَّن يعثِرون الشباب ويحرفونهم بشكلٍّ مُتعمَّدٍ وواعٍ، وعنهم قال ربنا: "وَمَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ" (متى ٦:١٨). إن الوفرة الخارجية، الثروة والراحة والرقص اللاأخلاقي والمؤلَّفات القذرة والملابس الوقحة، هي تجارب. كل هذه هي مصادر نتنة للخطيئة والتجربة.

المصدر الأهم للخطيئة وأصلها المتجذّر هو الشيطان بالطبع، وعنه قال الرسول يوحنا الالهي: " مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيَّئَـةَ فَهُـوَ مِنْ إِبْلِيسَ، لأَنَّ إِبْلِيسَ مِنَ الْبَـدْءِ يُخْطِ أ" (١يوحنـا ٣:٨).وفي مصـارعته لله وحقيقتـه، يحـارب الشيطان النـاس أيضـاً، ويسـعى إلى تـدمير كـل واحـد منـا. يكـون الشـر فاضـحاً بشـكل خـاص عنـدما يصـارع القديسين (حتى أنـه تجـرّأ على تجربـة الـرب يسـوع المسـيح)، كمـا يتضـح في الإنجيـل المقـدس وفي حيـاة القديسين. نحن، الواهين والضعفاء، يحمينا الرب بقوته من التجارب القاسية التي تعرّض لها قديسـوه الأقويـاء بالروح. لكن الشيطان لا يصرف انتباهه عنا، فاعِلاً من خلال أهـواء العـالم والجسـد، جـاعلاً إياهـا أقـوى وأكـثر إغواءً، وأيضاً مُجرِّباً إيانا بشتى أنواع الأفكار الآثمة.

في السنوات الأخيرة، كان تأثير الشرير، إلى جانب الشـرور الأخـرى، واضـحاً بشـكل خـاص في تفشّـي أشـكالِ الانتحار المختلفـة. لهـذا يقـارن بطـرس الرسـول الشـيطانَ بالأسـد الزائـر السـاعي وراءنـا، "طالبًـا من يبتلعـه" (" أُصْحُوا وَاسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ" ١بطرس ٥:٨).

Source: Metropolitan Philaret (Vosnesensky). On Sin. Moral Theology, Chapter 2. Parish Life, November 2021. Russian Orthodox Cathedral of St. John the Baptist. 11/29/2021. https://orthochristian.com/143098.html

الثور والحمار في أيقونة الميلاد

الخورية سميرة عوض ملكي

في ايقونة الميلاد، يظهر الطفل يسوع المسيح وأمه في كهف محاط بصخور حادة يصعب السير عليها، وذلك لتعكس صورة العالم القاسي الذي وُلد فيه يسوع. تذكر الأناجيل أن يوسف ومريم لم يتمكنا من العثور على غرفة في أي نَزْل عندما أتيا للمشاركة في الإحصاء السكاني في بيت لحم، ولذلك وُضِع يسوع في مذود، وهو حوض لإطعام الحيوانات، كان شائعاً في ذلك الوقت، إذ لم تكن الحيوانات تُجمّع في حظائر، بل في الكهوف والشعاب في التلال، ولذا يظهر هذا "الإسطبل" في الأيقونة.

في السماء يظهر نجم ينزِل شعاعاً واحداً نحو الطفل يسوع. هذا النجم يتبعه المجوس، حكماء فارس من الشرق، وهم يحملون هدايا للمسيح. لكنهم يصوَّرون بعيدين، أي لا يزالون في رحلتهم ولم يصلوا بعد. في السماء أيضاً حشد من الملائكة يبشّرون بميلاد مخلص العالم.

على اليمين، الرعاة الذين كان يهود ذاك الزمان يعتبرونهم غير مُحتَرَمين في مجتمعهم، هم أول من وصلته بشرى ولادة يسوع. لكنهم يظهرون أيضاً خارج الكهف، أي إلى جانب قطعانهم ولم يصلوا إلى عند المسيح بعد.

إلى جانب والدة الإله، تظهر الشركة الوحيدة التي جمعها يسوع المسيح في الساعات القليلة الأولى من حياته الأرضية. إنها ثور وحمار متواضعان. غياب الملتفّين حول يسوع ووجود الحيوانين إشارة إلى تواضع التجسد الإلهي على الأرض.

في التفاصيل، أن وجود الثور والحمار في أيقونة الميلاد وهما يوفران الدفء ليسوع بأنفاسهما، يشير إلى تحقق إحدى نبوءات العهد القديم العديدة " اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ" (إشعياء ١:٣).

الحقيقة هي أنه لا يوجد حمار أو ثور في روايات ميلاد المسيح في الكتاب المقدس. مع هذا، إن أقدم مثال معروف لأيقونات الميلاد يحتوي فقط على المسيح المقمط في المذود يحيط به ثور عند رأسه وحمار عند قدميه وهو في جدارية على ناووس في إيطاليا من القرن الرابع. ويظهر أن الحيوانَين، الثور والحمار، يقدمان له العبادة بلا انقطاع. يرى المفسرون أن هذه الصورة تتمم قول النبي حبقوق: "بين حيوانين تظهر".

ما هي العلاقة بين الثور والحمار؟ نقرأ أن في التقليد يُنظَر إلى الثور على أنه إسرائيل، والحمار أنه الأمم. يأتي هذا من تمييز مهم للغاية في العهد القديم: الثور حيوان "طاهر"، والحمار حيوان "نجس". إن الخلط بين الطاهر والنجس مرتبط بشدة باختلاط اليهود بالأمم. في الواقع، هناك قانون موسوي قد يحمل أحد المفاتيح: لا يجوز لك الحرث على الثور والحمار معاً. أي أنه محظور، وضع النير على الطاهر وغير الطاهر، والجمع بين "الداخل" و"الخارج". في التفسير أن هذا لا يمكن أن يتم من دون خطيئة إلا بالمسيح، الكلمة المتجسّد. حتى الرسول بولس يتبنّى هذا التقليد ويستخدم الصورة نفسها لتحذير المسيحيين من "النير" مع غير المؤمنين في ٢ كورنثوس ١٤:٦ "لاَ تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَالإِثْمِ؟".

وهنا يبرز معنى آخر يتعلق بالتجسّد وعلاقته بعالمية الكنيسة. الحمار هو حيوان للتحميل، قوة خُلقَت للتحمّل. وعلى هذا الأساس، يكون الحمار رمزاً للجسدانية نفسها. ليس مفاجئاً أن رمز النجاسة وما هو خارجاً، يشبه الوجود الجسداني الساقط والشهوانية. يظهر هذا بقوة في تعليم التقليد الهدوئي عن العلاقة بين القلب والحواس. فالجزء الخارجي الجسدي، أي الحواس، مرتبط بالأقمطة الجلدية، التي تحمي ولكنها أيضاً تحمل ما هو ثمين. لذلك من الطبيعي أن ينظر المفسّرون، كالقديس إيرينيوس، إلى قصص مثل قصة حمار بلعام الناطق (العدد ٢٢-٢٤)، على أنها إشارات مسبقة للتجسد. أو من المهم أيضاً أن نرى المسيح يمتطي الحمار (الشعانين). إن هذه الصور، من العهد القديم والجديد، تشبه وضع الحمار مع الثور في أيقونة الميلاد، وهي صورة رمزية عن ضم النقيضين، اتحاد الروحي والجسدي، الطاهر وغير الطاهر، الداخل والخارج، وفي النهاية غير المخلوق والمخلوق في شخص ربنا يسوع المسيح.

Sources:

- The Nativity Icon. A Reader's Guide to Orthodox Icons. https://iconreader.wordpress.com/2010/12/24/the-nativity-icon/
- Nativity of our Lord. The Fresco Project: Scriptural and Theological explanation of each fresco. Holy Trinity Orthodox Church. Serbian Orthodox Patriarchate. Butte, MT. https://holytrinitybutte.org/fresco
- Jonathan Pageau (2012). The Ass and The Ox in The Nativity Icon. The Orthodox Art Journal. December 24, 2012. https://orthodoxartsjournal.org/why-an-ass-and-an-ox-in-the-nativity-icon/

فوضى المسكونية والأخ الصغير

الأب أنطوان ملكي

تزايدت في السنوات الأخيرة المشاهدُ المسكونيةّ في بلادنا، فلم تعد تقتصر على استعراضات أسبوع الوحدة المسيحية، بل باتت شبه أسبوعية، وعلى كافة المستويات. فهنا اشتراك في صلاة، وهنا استقبال وتبادل زيارات، وهناك زياحات مشتركة؛ زحمة "اجتماعيات" ليتورجية..

إن جردةً لأسبابِ هذا السلوك، الظاهِرة أو المُقدَّرة، تكشف أن خليطاً من العوامل الاجتماعية والسياسية والاستعراضية يقف وراء هذه المشاركات، فتكون المشاركة إما نتيجةً لهذه العوامل أو ردَّ فعلٍ عليها، وفي كِلتا الحالتين "الضلالة الأخيرة شرٌ من الأولى". عنصران أساسيان يُفتَرَض أن يقوم عليهما كل عمل يأتيه الإكليريكي الأرثوذكسي، من أي رُتبةٍ كان، هما الالتزام بصحة الفكر اللاهوتي واحترام التقليد الشريف. ليس واضحاً توفُّرُ هذين العنصرين في هذه المشاهد المسكونية.

تطرح هذه المشاهد مشكلتين. الأولى هي أنَّه، من جهة الفكر اللاهوتي والتقليد الشريف، تقع مسؤولية تقييم توفُّرِ هذين العنصرين على عاتق الأساقفة المُقامين على قطع كلمة الحق باستقامة. إذ من حيث المبدأ، فإنَّ مسؤولية المطارنة هي أن يحفظوا صحة الممارسة. المفارقة هنا هي أنَّ غالبية هذه المشاهد الموصوفة أعلاه أبطالها مطارنة، أو كهنة مزودون ببركة المطران أو مبعوثون من قِبله للمشاركة.

مشكلة المسكونية الأولى هي أنها لا تتعاطى اللاهوت؛ لا يريد المنغمسون في العلاقات المسكونية أن يتعاطوا اللاهوت ولا الآباء ولا قوانين المجامع. يستندون دائماً إلى آية من هنا أو آية من هناك، يخرجونها من إطارها ليُجابهوا بها مَن يعارض المشاهد المسكونية، لا بهدف إقناعه بل بهدف حشره بتُهمةِ أنَّه غيرُ محِبٍ أو متعصب ومنغلق. يلجؤون دائماً إلى شهادات لا تقوم في أي حوار جدّي، مِثل: "قال لي هذا المطران"، و "أخذني فلان جانباً وأسرّ لي"، و "أخبرني هذا المطران"، و "سمعت الخوري فلاناً يقول". وعمق المشكلة الأولى في الواقع المسكوني هي أن المخوَّلين الحكمَ لا يرغبون بالنقاش اللاهوتي، وإذا أوردَ مُحاوِرُهم آيةً أو قولاً آبائياً أو استشهد بنصٍّ من التقليد المقدس، يكون ردُّهم هو الحديثَ عن الطاعةِ وعدمِ جوازِ "تعليمِ المتقدِّم"، وقد يكون ذلك بنبرةٍ لا تخلو من الغضب وحتى الترهيب.

المشكلة الثانية والأهم هي تأثير هذه الاستعراضات على الإخوة الصغار. إنَّ مبدأ الاهتمام بالإخوة الصغار وإعطائهم الأفضلية وضعه الرب يسوع نفسُه. لن يكون الفرزُ في اليوم الأخير، بحسب إنجيل الدينونة، لا على أساسِ رتبة كهنوتية ولا على أساس موهبة، إنما فقط على أساس "كل ما فعلتموه بإخوتي هؤلاء الصغار".

كل إنسان هو أخ صغير لي، وأنا مُطالَب بحمله. "الويل لمَن تأتي على يده العثرات" تعني أن الويلَ لمَن يُعثِرُ أخاً صغيراً. من هنا جاء قول الرسول "إِنْ كَانَ الطَّعَامُ يُعثِرُ أَخِي فَلاَ آكُلُ لَحْمًا إِلَى الأَبَدِ لِئَلاَّ أُعْثِرَ أَخِي" (١

كورنثوس ١٣:٨). أول مساعدة يقدمها الإنسان إلى الأخ الصغير هي أن لا يكون مَعثرة له. أين يأتي هذا الكلام في هذه الاستعراضات المسكونية؟

إن المشاهد المسكونية، موضوعَ هذا الكلام، مهما كانت الرتبة الكهنوتية للمشاركين فيها، توحي بأن الوحدة قائمة. استقبال بطريرك غير أرثوذكسي بالإنجيل والأفلونية، تسليم عصا لأسقفٍ غير أرثوذكسي أثناء سيامته، اشتراك كاهنين، أرثوذكسي وكاثوليكي، معاً في زياح عيد السيدة، تحويل زياح الشعانين من كنيسة أرثوذكسية إلى كنيسة الموارنة المجاورة لكي يُنشدوا "المسيح قام"، إعطاء كاهن كاثوليكي قراءة الإنجيل في إكليلٍ أو أفشينَ الحلّ في جنازٍ أرثوذكسي، وغيرها الكثير من المشاهد والاستعراضات التي قد يظهرُها البحث على وسائل التواصل الاجتماعي، كلها مشاهد توحي أننا في الوحدة. وإذ يدبُّ الحماسُ في البعض لا يتورعون عن إعلان وحدة هم غير مخوَّلين إعلانها، وهي بالحقيقة غير قائمة.

إن الإيحاء لأخ صغير بغير الحقيقة هو إعثار له، أو دفعٌ به إلى العثرة. القول له بالأعمال أو باللسان أن الوحدة قائمة هو دعوةٌ أو دفعٌ إلى ممارستها. لا يُلام الأخ الصغير لأن الإنسان، بالفطرة، يُزعجه الانقسام ويرتاح إلى الوحدة، خاصةً إذا كان نصف أفراد عائلته من طوائف أخرى. الملومُ هو مَن يقبل أن يكون عثرة للأخ الصغير، بسلوكه في وحدةٍ غير قائمة، وهو واحد من ثلاثة: إما مخدوع يتوقّعُ أن يُعفيَه الرَّب من الويل فلا يفرزه مع جداءِ اليسار يوم الدينونة، أو يرى نفسه فوق الإدانة، أو لا يؤمن بالدينونة أصلاً...

مجدداً، توحيد تاريخ الفصح

إعداد أسرة التراث الأرثوذكسي

في ٢٣ تشرين الثاني ٢٠٢٢، أوردت وكالة زينيت خبراً عنوانه "بطريرك القسطنطينية: المفاوضات جارية ليحتفل الكاثوليك والأرثوذكس بعيد الفصح في اليوم نفسه"، وفي التعليق العريض "الاتّفاقيّة الممكنة ستكون مهمّة لأجل يوبيل ٢٠٢٥". المقال من كتابة ندى بطرس في زاوية "الكنيسة والعالم".

الخبر منقول عن القسم الإنكليزي من زينيت، وفيه أنه تجري مفاوضات بين ممثّلين عن الكنيستَين الأرثوذكسيّة والكاثوليكيّة للتوصّل إلى اتّفاقيّة حول الاحتفال "بأهمّ تاريخ بالنسبة إلى المسيحيين، أي عيد الفصح." وأن هذه المفاوضات المذكورة تجري في إطار الاحتفال المقبل للذكرى ١٧٠٠ لمجمع نيقيا الذي جرى سنة ٣٢٥، والذي ما زالت أحكامه مُلزِمة للطرفَين. وينقل المقال عن البطريرك برثلماوس أنه ستتمّ استشارة أخصائيين بهدف تحديد أكثر تاريخ دقّة للاحتفال بالفصح، " نظراً إلى أنّ العيد يتعلّق أيضاً بمجالات علميّة من المعرفة البشريّة". كما رأى بطريرك القسطنطينية "أنّ اللحظة حانت للكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية لتُحدِّدا تاريخاً مُشترَكاً للاحتفال بقيامة المسيح." وأمِلَ أن نتمكّن من التوصّل إلى اتّفاقيّة لهذه المناسبة.

يذكر المقال أن هناك احتفالات مشتركة سوف تُقام سنة ٢٠٢٥ للذكرى ١٧٠٠ لمجمع نيقيا، وأن اتّفاقيّة الاحتفال بقيامة يسوع ستكون من أهمّ لحظات هذا اليوبيل.

لقد هلل كثيرون، خاصةً من الأنطاكيين الأرثوذكسيين، لهذا الخبر وتناقلته عدة مجموعات على شبكات التواصل الاجتماعي. هذا الأمر مفهوم، حيث أن الأنطاكيين هم الأقدم بين الأرثوذكس في التعايش مع الانشقاقات، الناتجة عن البدع والهرطقات وتعدد الطوائف والأديان، وبينهم عائلات كثيرة يشكّل وجود عيدين للفصح مشكلة بالنسبة لها.

الواقع يستدعي العودة إلى التاريخ قليلاً، حيث أنه في أوائل القرن الماضي تمّ اتفاق سنة ١٩٢٣ بين بعض الأرثوذكس مع الكاثوليك، على أن ينتقل الأرثوذكس إلى تعييد الأعياد الثابتة بحسب التقويم الغريغوري (الغربي)، على أن يتبع ذلك ملاقاة غربية، بحيث تتوحّد الأعياد المسيحية. واليوم ينقضي القرن الأول على هذا الاتفاق ولم يتحرك الكاثوليك قيد أنملة، بل كل ما تحقق هو انقسام بين الأرثوذكس أنفسهم، حيث ما زالت الغالبية (روسيا، صربيا، جورجيا، بلغاريا، أورشليم ومكدونيا أي ٧٠ بالمئة تقريباً) تعيّد الأعياد الثابتة بحسب التقويم اليولياني، فيما الأقلية تعيد هذه الأعياد بحسب التقويم الغريغوري (أنطاكية، القسطنطينية، الاسكندرية، قبرص، اليونان، ألبانيا، ورومانيا).

الواقع اليوم يقول أن كثيرين يخلطون بين توحيد تاريخ العيد والوحدة المسيحية. يشارك في تثبيت هذا الفهم الخاطئ العديد من وسائل الإعلام والمسؤولين الكنسيين والفلتان القائم عِبر وسائل التواصل الاجتماعي حيث يكتب مَن يشاء ما يشاء من غير رقيب أو مصحح أو مراجِع.

كتب صاحب السيادة الميتروبوليت أفرام كرياكوس مطران طرابلس والكورة وتوابعهما توجيهاً في نشرة أبرشيته "الكرمة" في عدد الأحد ٧ شباط ٢٠١٦، بعنوان "هل بوحدة تاريخ الفصح نصبح 'واحداً في المسيح؟'" ما يلي هو هذا التوجيه نعيد نشره لأهميته ودقته في توجيه المؤمنين إلى عدم الخلط بين الأمور.

"كلّنا واحد في المسيح"، هي عبارة نسمعها من بعض المسيحيّين الأرثوذكسيّين وغير الأرثوذكسيّين، تصف لنا إلى أيّ حدّ من السذاجة وصل إيمان معظم المسيحيّين في هذه الأيّام. الخشية أن لا يكون أبناؤنا على معرفة بإيمانهم المستقيم الذي لطالما تباهوا به أمام الآخرين، لمجرّد التباهي، و إن سألت أحدهم دستور الإيمان، فهو يجهله. الخشية على أولادنا أن لا يكونوا على علم، ولو بشكل بسيط، بالخلافات العقائديّة بين الإيمان الأرثوذكسيّ القويم و بين معتقد الجماعات المسيحيّة الأخرى.

سنحاول طرح بعض الأسئلة لنرى هل نحن فعلاً "واحد في المسيح" مع الجماعات المسيحيّة الأخرى؟

هل نحن واحد بحيث نقف، مع رجال دين غير أرثوذكسيّين، إلى مذبح واحد و نتناول من ذبيحة واحدة في سرّ الإفخارستيا المقدّس؟

هل نؤمن بكهنوت واحد، فيه التسلسل الرسوليّ؟ فهناك، مثلاً بعض الجماعات المسيحيّة التي لا تؤمن بكهنوت بشريّ و ترى في المسيح أنّه هو الكاهن الأوحد. كما أنّ هناك شكًّا من جهة كنيستنا الأرثوذكسيّة، بكهنوت الكهنة عند الجماعات المسيحيّة الأخرى، من حيث تسلسلها الرسوليّ.

هل نحن واحد في الصوم؟ واحد في الشفاعة؟ واحد في القديسين؟ واحد في الكتاب المقدّس؟ هل نحن واحد في قانون الإيمان؟ هل نحن واحد في الصلاة؟ في الأنبياء؟ في التسابيح؟ هل نحن واحد في النظرة إلى المطهر؟

فمثلاً، عند بعض الجماعات المسيحيّة، يؤمنون بأنّ بعض الأسفار من الكتاب المقدّس هي أساطير. هناك من ينكرون عذريّة مريم والدة الإله، هناك من ينكرون قيامة المسيح، منهم من يهاجمون تعاليم الرسل وأقوالهم في الكتاب المقدس. منهم من يقيم العقل رقيبا على الكتاب المقدّس، فما يقبله العقل يقبلونه وما لايقبله العقل لايقبلونه.

إذاً، عبارة لا تهمّني الخلافات يهمّني توحيد الأعياد تعني أنا لا يهمّني الإيمان و أزدري الذين ضحّوا بأنفسهم وقطعت ألسنتهم و أيديهم، من الآباء القدّيسين، لكي يحافظوا على الإيمان ويسلّمونا الوديعة كما تسلّموها هم دون زيادة أو نقصان. فقول القائلين أنا لا تهمّني الخلافات و إنّما توحيد الأعياد، يدلّ على طبيعة إيمانهم الشخصيّ كم هو سطحيّ وغير عميق، لأنّ الذي يهمّه أمر الحصول على الذهب الذي لايفنيه سوس، عليه أن يغوص أكثر في البحث في أعماق الأرض، حتّى يصل إلى مرتجاه، لا أن يبحث سطحيًّا لأنّه لن يجد شيئًا في المنتهى.

كلّنا نريد أن تتمّ الأعياد في تاريخ واحد، و لكن الأهمّ أن يكون الإيمان واحداً. فكيف يتمّ الإتّحاد؟ الإيمان الواحد هو أساس كلّ شيء، حسبما قال الرسول بولس في رسالته إلى أهل أفسس ٤:٥ "ربّ واحد، إيمان واحد، معموديّة واحدة". أمر الإيمان كانت تبحث به المجامع

المسكونيّة، لكي تكون الكنيسة كلّها في إيمان واحد. فالذي لايؤمن بما أقرّته المجامع يعدّ مفروزًا أي خارج الكنيسة، وهذه هي نظرتنا ككنيسة المسيح اليوم. فكلّ من لا يؤمن إيماننا هو مفروز، أي خارج جماعتنا، أي خارج الكنيسة. وحدة الكنيسة هي وحدة إيمان، تنبع من الكنيسة و ليس من خارجها، و هي ليست وحدة أعياد وليست وحدة شعوب مسيحيّة في مناسباتهم في بلد ما.

الوحدة الكنسيّة تعني التخلّص من الأَحرام القديمة. فلا يمكن أن تكون هناك وحدة وهناك أَحرام. أيضا الوحدة تعني النظر في موضوع القدّيسين الذين أعلنت قداستهم بعد الإنشقاقات. فهناك مثلا جماعات مسيحية أعلنت قداسة بعض الأشخاص الذين تعتبرهم كنيستنا الأرثوذكسيّة هراطقة، كما أنّ هناك الكثير من القدّيسين في كنيستنا الأرثوذكسيّة، يعتبرون هراطقة في نظر بعض الجماعات المسيحيّة الأخرى.

من الممكن أن نقول إنّ بيننا وبين هذه الجماعات شيئًا من التعاون في الأمور المشتركة، أمّا عبارة "وحدة" فهي أكبر بكثير ممّا يحدث، حتّى ولو صُودف وقوع الأعياد في التاريخ ذاته أحيانا.

نحن نجاهد لنصل إلى الوحدة. فهناك إجتماعات تحصل مع الجماعات المسيحيّة الأخرى، نتناقش خلالها في الأمور اللاهوتيّة، كي نصل إلى اتّفاق لاهوتيّ.

فالوحدة هي على أساس الإيمان أوّلاً وبعدهُ كلّ الحوارات ستؤول إلى الإتّحاد في جميع الأمور لا محالة.